

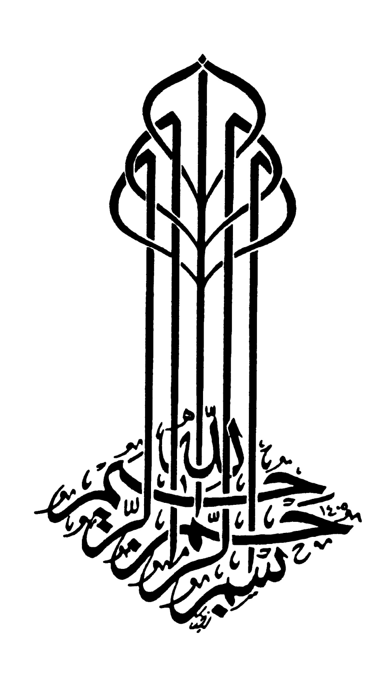
النصيحة

وأثرها على وحدة الكلمة بين المسلمين

لمعالي الشيخ العلامة

د/ صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أمَّا بعد؛

فلا شك أنَّ الأمَّة بحاجةٍ إلى ما يُوحِّد كلمتها، ويؤلف بين جماعتها، واجتماع الكلمة أمر الله جلَّ وعلا به في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، فلا بد لجمع الكلمة من أمور وهي:

أولاً: لا يمكن اجتماع الكلمة إلَّا بإقامة ولاية من المسلمين باختيار إمام، وطاعة من ولاه الله أمر الأمَّة، فلا اجتماع كلمة إلَّا بجماعة، ولا جماعة إلَّا بإمام، ولا إمامة إلا بسمعٍ وطاعة، ولهذا قال ﷺ لما طلبوا من النبي ﷺ الوصية قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِن تَأَمَرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَن يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا**

كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بَعْدِي»[1]، فأمر بطاعة ولي الأمر مهما كان نسبه لحسم الخلاف ليلزم المختلفين بما تقتضيه السُّنَّة من الحكم فيما اختلفوا فيه، والخلاف من طبيعة البشر، لا بدَّ أن يكون هناك خلاف ونزاع؛ لكن يُحسم ذلك بسنَّة الرسول ﷺ، مع الرجوع إلى كتاب الله قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٖ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٠]، فهذا ممَّا يجمع الكلمة، أننا إذا حصل بيننا اختلاف في الرأي، فإنه يُرجع في حسمِ هذا الاختلاف إلى كتابِ الله، وسنَّة رسوله ﷺ وبذلك ينتهي، لأنَّ اللهَ جلَّ وعلا أنزل هذا الكتاب: ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، والحمد لله عندنا مرجع إلهي فلا نرجع إلى القوانين الوضعيَّة، والأنظمة البشريَّة، فإنَّها تُفرق

---

(١) طرف من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٢٦) وأبو داود برقم (٤٦٠٧) والترمذي برقم (٢٦٧٦) وقال حديث حسن صحيح.

ولا تجمع، وتُفسد ولا تُصلح غالبًا، وإنَّما نرجع إلى كتابِ ربِّنا وسنَّة نبيِّنا محمَّد ﷺ.

ويكون ذلك على أيدي عُلمائنا الَّذين يعرفون ويستنبطون الحكم بيننا من كتاب الله، وسنة رسوله فهذا ما يحل المُشكل والاختلاف، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء: ٨٣]، والله جلَّ وعلا لم يتركنا لآرائنا، أو آراء غيرنا، وإنَّما أَنزل علينا كتابًا، وأرسل إلينا رسولًا، ليكون ذلك حكمًا بيننا فيما اختلفنا فيه، ولا نرجع إلى الأمم المتحدة أو مجلس الأمن أو محكمة لاهاي أو القانون الوضعي.

ثانيًا: وممَّا يجمع الكلمة صحةَ العقيدة، بأن تكون العقيدة عقيدة التَّوحيد، وهي إفراد الله جلَّ وعلا بالعبادة، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ليس لنا إلَّا ربٌّ واحدٌ، وإله واحدٌ، فإذا أفردناه سبحانه بالعبودية، فإنَّه حينئذٍ يحصل الاتفاق والوئام بين المسلمين.

أمَّا إذا اختلفت العقيدة فلا اتفاق، ولا اجتماع؛ لأنَّ كلَّ واحد له منهج وله نظام يختلف عن الآخر،قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، كُل ينتصر لعقيدته ورأيه، فلا يجمع المسلمين إلَّا عقيدةُ التَّوحيد الَّتي جاء بها رسول الله ﷺ.

والتي جمعت بين العرب والعجم في أمة واحدة قال الله جلَّ وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٣] فإذا رجعنا إلى الله وعبدناه حقَّ عبادته، واتَّبعنا رسوله ﷺ اجتمعت كلمتنا، وتوحَّدت صفوفنا، وهابنا عدونا، ولا حيلة له فينا؛ لأَننا تمسكنا بكتاب الله وسنَّة نبيِّه، أمَّا إذا خضعنا للدسائس، والشُّبهات، والآراء، والنِّزعات، والنَّزغات، حصل الشِّقاق والاختلاف، وتفرَّقنا فرقًا وأحزابًا وجماعات، كما هو الحال الآن.

ثالثًا: كذلك ممَّا يُوحد الكلمة النَّصيحة التي هي موضوع هذه الكلمة، والنَّصيحة هي الطريقُ لوحدةِ الكلمة، وهي مأخوذة من الشيء النَّاصح وهو الخالص، فالنَّصيحة الخلوص من الغش بأن

لا يكون عند الإنسان غش، بل يكون باطنه لا يُخالفُ ظاهره، بل لابدَّ أن يتوافق الظَّاهر والباطن على الحقِّ، حتَّى يكون الإنسانُ ناصحًا، يعني: خالصًا من الغش، يُقال هذا شيءٌ ناصح، يعني: خالص من الغش.

والنَّصيحة مأخذها من النُّصح، وهو الخُلوص من الغش والأخلاط الرديئة[1] هذه هي النَّصيحة، فيكون الإنسانُ ظاهره وباطنه سواء، فلا يكون يُظهر ما لا يُبطن لأن هذه طريقة المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار: ﴿ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥].

ولمن تكون النَّصيحة وأين مجالاتها؟ بيَّنها رسول الله ﷺ بحديثٍ موجز من جوامع كلمه ﷺ، وذلك في حديث تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا لِمَنْ هِيَ؟ قَالَ: «لله،

(١) ينظر/ المنحة الربانية في شرح الأربعين النووية للشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان (ص١١١).

وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[1]، فجعل مجالات النَّصيحة أربعة، وبها يتكامل الدِّين، فالدين كُلُّه بمراتبه الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان كُله يدخل في النَّصيحة، وهي باختصار أن يتوافق الظَّاهر مع الباطن في الإيمان، والدِّين.

۞۞۞

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

مجالات
النصيحة

المجال الأول: النَّصيحة لله جلَّ وعلا

فالنَّصيحة لله جلَّ وعلا عبادته وحده لا شريك له، أمَّا من يعبد الله ويعبدُ معه غيره، فهذا ليس ناصحًا لله، هذا مختلط هذا غاش لا يكون ناصحًا لله إلَّا إذا أخلص عقيدته لله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢] ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ يعني: أخلص لله بظاهره وباطنه، ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي: متَّبع للرَّسول ﷺ، لا يتبع غيرِ الرسول، ولا يُقلد غير الرَّسول، وإنَّما يكون قدوته وإمامه رسول الله ﷺ في عبادته، لا يعبد الله على ما جاء به فُلان، أو علان، أو الشَّيخ الفلاني، أو على الطريقة الصوفية الفلانية، أو ما أشبه ذلك.

ومن النَّصيحة لله جلَّ وعلا إثبات أسمائه وصفاته، كما جاءت في الكتاب والسنَّة، من غيرِ تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وهذه النَّصيحة هي الَّتي تُوحِّد المسلمين، لا يُوحد المسلمين غير العقيدة الصَّحيحة مهما تكلموا ومهما قالوا، يقولون: اتركوا النَّاس على عقائدهم لا تفرقوهم، ولا تشوشوا على النَّاس بذكر العقيدة،

ومستحيل أن يجتمع النَّاس على غيرِ عقيدةٍ صحيحةً، مهما حاولوا هذا من الكذب على النَّاس، لا اجتماع إلا بعقيدةٍ صحيحة، لا اجتماع إلَّا بلا إله إلَّا الله الَّتي جاء بها رسول الله ﷺ، فهي التي جمعت بين سلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وبين أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وبقيَّة الصَّحابة ﵃ جميعًا هي التي جمعت بينهم، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾[آل عمران: ١٠٣]، بعد أن كانوا أعداءً صاروا إخوانًا، بأيِّ شيء؟! بهذه العقيدة، عقيدة التوحيد: ﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾.

فإذا كنَّا نريد وحدة الكلمة، واجتماع الكلمة، فلنرجع إلى الأصل الَّذي وحَّد بين العرب والعجم، وبين الأحرار والعبيد، وبين مختلف أجناس البشر نرجع إلى هذا الَّذي وحَّدهم، وهو مضمون لا إله إلَّا الله قولًا وعملًا واعتقادًا، هذه النَّصيحة لله سبحانه وتعالى؛ فلا يمكن أن يجتمع مشرك مع موحد ولا جهمي ينفى الأسماء والصفات

مع من يثبتهما، ولا شيعي يلعن الصحابة ويعبد أهل البيت مع من يحب الصحابة ويثنى عليهم، ولا يعبد إلا الله وحده، ولا يجتمع صوفي أو قبوري يعبد الله بالخرافات، وعبادة الأموات مع من يعبد الله على سنة الرسول، ولا حزبي مخالف لمنهج السلف وأهل السُّنَّة والجماعة في لزوم السمع والطاعة لولي الأمر بالمعروف والانضمام إلى جماعة المسلمين مع من يلتزم بتلك الأحكام الشرعية.

نعم أهل السنة والجماعة يجتمعون ولو حصل بينهم اختلاف فقهي في بعض المسائل، إذا كان هذا الاختلاف ناشئًا عن اجتهاد سائغ فيجتمع أهل المذاهب الأربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة؛ لأن عقيدتهم واحدة ولو اختلفوا في بعض الفقهيات الاجتهادية، وهم في هذا على منهج السلف الصالح من الصَّحابة والتابعين لهم بإحسان الذين قد يحصل بينهم اختلاف فقهي، ومع هذا يتآلفون ويتحابون فيما بينهم، ولا من يقولُ آمنَّا بالله بلسانه، وليس هو بمؤمن في قلبه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[البقرة: ٨-٩] مع من يعبد الله ويؤمن به ظاهراً وباطنًا.

المجال الثاني: النَّصيحة لكتاب الله

والنَّصيحة لكتاب الله: وهو القرآن، أن نؤمن أنَّه كلام الله حقيقة، منزلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود[1] لا نقول أنه مخلوق لفظه ومعناه كما تقوله الجهمية أو أن معناه غير مخلوق ولفظه مخلوق كما تقوله الأشاعرة والماتوريدية، نتعلمه، ونُعلمه، ونتلوه حقَّ تلاوته[2]، لا نتلوه للتأكل به، أو لنزين به أصواتنا مباهاة؛ بل نتلوه لوجه لله سبحانه وتعالى، كما أمرنا الله: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فنتلوه بعد ما تعلمناه ولا نقول بأننا تعلمناه وحفظناه ويكفي هذا؛ بل نتلوه، ونكرر تلاوته، ونتقرب إلى الله بتلاوته آناء اللَّيل وأطراف النَّهار، في صلواتنا، في جلساتنا، في خلواتنا، نتلوا كتاب الله

(١) ينظر/ العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية مع شرحها للهراس (ص١٨٩)، وأصول الإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص١٠).

(٢) ينظر/ المنحة الربانية في شرح الأربعين النووية للشيخ صالح الفوزان (ص١١٣).

عزَّ وجلَّ حتَّى يترسخ في قلوبنا، وحتَّى نرتبط به، ونحبه، ولا نهجره، لا تكفي تلاوته؛ بل لابدَّ مع ذلك من تدبرِ القرآن لمعرفة معانيه، ومقاصده، وذلك بالرجوع إلى تفسيره من المصادرِ الموثوقة التي هي تفسير القرآن بعضه بعض، ومن تفسير رسول الله ﷺ للقرآن، ومن تفسير الصَّحابة، ومن تفسير التَّابعين، نأخذُ تفسيره من هذه المصادر لا نفسره بآرائنا ولا نفسره بما يسمونه العلم الحديث من النظريات والفكريات التي تخطئ وتصيب، فإنَّ الذي أنزله تكفل ببيانه على لسان رسوله كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٩] لا نتلوه تلاوة مجردة من دون تدبر، ومن دون عمل، قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

وتدبر القرآن إن رمت الهدى ... فالعلمُ تحت تدبيرِ القرآنِ

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص: ٢٩] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾[المؤمنون: ٦٨] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[محمد: ٢٤]، لا بدَّ من تدبر القرآن مع تلاوته، وهذه الأمور لا تكفي هذه وسائل، والغاية أن نعمل به.

المجال الثالث: النَّصيحة لرسول ﷺ

والنَّصيحة لرسول ﷺ الشهادة له بالرِّسالةِ عن يقين أنَّه رسُول الله، وأنَّ اللهَ أرسله إلى العالمين إلى الثَّقلين الجن والإنس، وأنَّ رسالته باقيَّة إلى أن تقوم الساعة، وأنَّه لا نبيَّ بعده ﷺ، لأنه خاتم النَّبيين لا نبي بعده، وأنَّ رسالته ليست إلى العرب خاصَّة، وإنَّما هي عامَّة للخلق، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهو رسول البشرية كلها، وأن رسالته باقيَّة إلى أن تقوم الساعة لا يأتي بعده نبي، وإذا نزل المسيح عيسى بن مريم عليه الصَّلاة والسَّلام في آخر الزمان، فإنَّه يكون تابعًا للرسُول ﷺ وعاملًا بشريعته يحكم بشريعة الإسلام، تابع للرَّسُول، ومجددًا شريعة الرَّسُول ﷺ لأنَّه لا نبي بعد محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، ولهذا قال ﷺ: «**وَالله لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي**»[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٨٧) عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ.

فلا يكون عند الإنسان شكوك في رسالة هذا النَّبي ﷺ، بل يكون مؤمنًا بها عارفًا بمعناها، وما يتطلبه الإيمان برسالته ﷺ.

ومن النَّصيحة للرَّسُول ﷺ اتباعه، أمَّا أنَّك تُؤمن به، ولا تتبعه هذا ليس من النَّصيحة له، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

أمَّا من يؤمن أنَّه رسول الله لكن لا يتبعه، فهذا ليس بناصحٍ لرسول الله ﷺ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾[النساء: ٨٠] ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾[الشورى: ٤٨].

والرَّسُول عليه البلاغ والحساب عند الله جلَّ وعلا،، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرعد:٨٠] تُؤمن بأنَّ الرسول ﷺ بَلَّغ البَلَّاغ المبين، وأقام الحُجَّة على العالمين، هذا من النَّصيحة لرسول الله، تؤمن أنَّه لم يكتم شيئًا ممَّا أنزل الله إليه؛ بل بلغه أتم البلاغ للنَّاس.

ومن النَّصيحة للرسول ﷺ اتباع سنَّته والعمل بها، وترك العمل بالبدع والمحدثات كما أمرنا ﷺ بذلك ونهانا عن البدع والمحدثات في الدين.

كذلك من النَّصيحة له ﷺ محبته أكثر من محبتك لنفسك، وولدك، ووالدك، والنَّاس أجمعين، كما جاء عنه ﷺ أنه قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[1]، وليست محبته بإحداث البدع في يوم مولده ولا بالغلو فيه حتى يعبد من دون الله كما تفعله النصارى في حق المسيح عليه السلام وإنما محبته باتباعه، وأن تُقدِّ قوله على قولِ كُل أحد، لا قول لأحد مع قول رسُول الله ﷺ، فالقول قول الرسول ﷺ، أمَّا من يقول: المسألة فيها خلاف، والدِّين واسع، ويأخذ بأيِّ: قول من أقول العلماء فهذا اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله، كحالة اليهود والنَّصارى، نحن لا نأخذ من أقوال العلماء إلَّا ما وافق قول الرسول ﷺ وما خالفه رددناه على قائله كائنًا من كان، والعالم مُجتهد فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد على اجتهاده[2]، لكن لا يجوز أخذ قوله الَّذي يخالف قول الرسول ﷺ هذا مخالف للنصيحة للرسول ﷺ.

(١)متفق عليه من حديث أنس ﷺ أخرجه البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤).

(٢)من حديث عمرو بن العاص ﷺ أخرجه البخاري برقم (٧٣٥٢)،ومسلم (١٧١٦).

المجال الرابع: النَّصيحة لأئمة المسلمين

النَّصيحة لأئمة المسلمين وهم ولاة الأمور تكون بعدة أمور:

أولًا: باعتقاد ولايتهم، لأن بعض الجهال من الشباب وغيرهم ومن بعض المتعالمين لا يعتقد ذلك، فلابد من اعتقاد أن ولايتهم ولاية صحيحة ومنعقدة وأنَّ الله أوجب عليه طاعتهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩] ويجب احترام ولاة أمور المسلمين وتوقيرهم لأنَّ لهم حقًا بها ولاهم الله سبحانه وتعالى، وتحرم السُّخريَّة بهم، أو الغيبة لهم، أو تنقص ولاة أمور المسلمين، لأنَّ الرَّسول ﷺ حث على السمع والطاعة يقول: «**وَإِن تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدًا**»(١)، وفي رواية: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»(٢)، وفي رواية «**وَلَوْ كَانَ مُجَدَّعِ الأَطْرَافِ**» حتَّى ولو حصل منهم خطأ لا يصل إلى حدِّ الكفر، فإننا لا ننقصهم، ولا نضع من قدرهم، ولا ننشر أخطأهم على النَّاس؛ لأنَّ هذا يسبب الفتن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) لفظ هذه الرواية أخرجها البخاري أنس ﷺ برقم (٦٩٣، ٦٩٦، ٧١٤٢).

والشرور، وانتقاض الولاية وغير ذلك من الثورات والفوضى، فيجب على كلِ مسلم يتبع لولي من ولاة أمور المسلمين أن يلتزم هذا المنهج الَّذي أمرنا الله ورسوله به مع ولاة أمورهم، وقد جاء الوعيد بأن من أهان ذا سلطان أهانه الله.

ومن النَّصيحة لولي الأمر إيصال النَّصيحة إليه فيما بينك وبينه، ولا يجوز أن تقف على منبر أو تتكلم في شريط وتذكر معايب الولاة، وتذكر أخطاء الولاة هذا من الخروج عليهم، وإيغار الصدور ضدهم؛ بل إذا أدركت خطأ، وتمكنت من مُناصحتهم فيه مُشافهة أو مُكاتبة، أو أن توصي من يتصل بهم، فإنه يجب عليك ذلك، أمَّا أن تذكر معايبهم وأخطأهم في مجالس النَّاس، وفي النَّدوات والخطب وغير ذلك، فهذا من أعظم المنكر والغش لولي أمر المسلمين، ومن التَّشهير، وهذا يُسبب الخروج على ولاة أمور المسلمين، وشقِّ عصا الطَّاعة، وتفريق كلمة المسلمين، ولا يُجدي شيئًا.

والله جلَّ وعلا قال لنبيِّه ورسوله موسى، وهارون عليهم الصَّلاة والسَّلام لما أرسلهما إلى فرعون قال: ﴿ فَأْتِيَاهُ ﴾ [طه:٤٧] ﴿ فَقُولَا

لَهُۥ ﴾ [طـه:٤٤] مـشافهة ولا تقـولا لغـيره: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ هذا طريق مناصحة ولاة الأمور وهذا مع كـافر، وهـو فرعـون الَّـذي ادعـى الربوبيـة والألوهيـة: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[النازعات: ٢٤] ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[القصص: ٣٨] فكيف مع ولي أمر المسلمين؟ يقول الله في كافر يدعي الربوبية والألوهية ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ قال: ﴿ فَأْتِيَاهُ ﴾، ولم يقـل سباه في المجالس والطرق أو اخرجا عليه واعملا المظاهرات ضده، فكيف بولي أمر المسلمين؟ وإذا كنـت لا تقـدر عـلى الاتـصال بـه فـإن الله لا يكلفـك بـشيء لا تقـدر عليـه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقـرة: ٢٨٦]، فأمـسك لـسانك ولا تقـل هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنَّ هذا هو المنكر نفسه، بل هو أعظم المنكر هذا يُفسد ولا يُصلح.

ومن النَّصيحة لولي أمر المسلمين أنَّه إذا ولَّاك على وظيفـة، أن تقوم بالعمل الوظيفي، وإذا ولاك عـلى عمـل مـن الأعـمال، أو جبايـة مال لبيت المال، فمن النَّصيحة لولي الأمر أن تحفظ هذا الشيء، تحفظه

غاية الحفظ، وألا تخون فيه، أو تغلَّ شيئا منه، أو تقبل الرَّشوة الَّتي تُدفع إليك في مقابل إنَّك تتسامح في أخذ الحقوق من النَّاس، هذا من الغش لولي أمر المسلمين، لأنه ائتمنك على هذا فكيف تغش في ولايتك، وتخون في عملك، هذا مضاد للنَّصيحة لولي أمر المسلمين.

وكذلك من النَّصيحة لولي أمر المسلمين الدُّعاء له بالصَّلاح والهداية، وهذا من عمل المسلمين الدُّعاء لولاة أمورهم بالصَّلاح والهداية والتَّوفيق، قال بعض السَّلف: (لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ لِيَ دَعْوةٌ مُسْتَجَابَةٌ لجَعَلْتُهَا للسُّلْطَانِ)[1]، لأنَّ السلطان إذا صلح أصلح الله به من تحته، فتدعو له بالصَّلاح والهداية والتَّوفيق، ولو أخطأ، تدعو الله أن يُهديه ويرده للصَّواب هذا من حقِّه عليك، وهذا من النَّصيحة لولي أمر المسلمين، واليوم أصبح من ينصح لولي الأمر ويدعو له بالصلاح والهدية ويحث على لزوم الجماعة والسمع والطاعة بالمعروف يلقبُّ بالجامي والجامية تنفيرا من هذا الأصل العظيم الذي أمر الله به

(١)من كلام الفضل بن عياض رحمه الله، أخرجه اللالكائي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٧٢-١٧٦)، ويروى مثل ذلك عن الإمام أحمد رحمه الله.

ورسوله، قال بعض السلف إذا رأيت الرجل لا يدعو لولي أمر المسلمين فاتهمه يعني: اتهمه بمذهب الخوارج، وبعض الجهال أو بعض الضلال يتهم من يدعوا لولي الأمر بالمداهنة والنفاق، وأنه عميل إلى غير ذلك من قبيح التهم، فيجعل النَّصيحة مداهنة وعمالة وهذا هو النفاق والغش للإسلام والمسلمين.

كما قال شاعر الخوارج في مدح الذي قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الخوارج:

يا ضربة من تقى ما أراد بها　　إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

إني لأذكره يوما فأحسبه　　أو في البرية عند الله ميزانا

يقول هذا المديح فيمن قتل رابع الخلفاء الراشدين فرد عليه بعض أهل السُّنة بقوله:

يا ضربة من شقي ما أراد بها　　إلا ليبغ من ذى العرش نيرانا

إني لأذكره يوما فألعنه　　وألعن عمران بن حطانا

يعني: قاتل علي رضي الله عنه ومن مدحه.

المجال الخامس: النَّصيحة لعامَّة المسلمين

النَّصيحة لعامَّة المسلمين ومجالها واسع في المعاملات، في البيع والشراء، في الدعوة إلى الله، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في تعليم العلم النَّافع، هذا كُله من النَّصيحة لعامَّة المسلمين، لا تغش إخوانك المسلمين لا بالقول ولا بالفعل، إذا بعت أو اشتريت منهم فإنَّك تلزم النَّصيحة، وأن لا تخدعهم، ففي الحديث الشريف: «**لَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا**»(1) احترم أخاك المسلم: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(2) يعني: لا يكمل إيمانه حتَّى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فإن كان لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه نقص إيمانه.

---

(1) أخرج هذا اللفظ من حديث أبي هريرة ﷺ الإمام أحمد(٢/ ٢٧٧) وأصله في الصحيحين أخرجه البخاري برقم (٢١٤٠) ومسلم برقم(٢٥٦٣).

(2) متفق عليه من حديث أنس أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

ومن النَّصيحة لعامَّة المسلمين، احترام أعراضهم عن الغيبة والنَّميمة، لا تنم بينهم، وعليك بالإصلاح إذا حصل خصومة أو نزاع بينهم فإنَّك تُصلح بينهم هذا من النَّصيحة لهم قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾[الأنفال: ١]، والنَّبِيُّ ﷺ قال: «**فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ؟ لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»(١).

فتحاول الإصلاح بين إخوانك، ولا تنشر النزاع والعداوة بين المسلمين، وتُصلح بينهما بالعدل والقسط: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة:٤٢]، هكذا النَّصيحة لعامَّة المسلمين.

ومن النصيحة لهم الدُّعاء لهم مع نفسك: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر:١٠]، ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[محمد: ١٩]، هذا من النَّصيحة لإخوانك المسلمين.

فالمسلمون كالجسد الواحد، وكالبنيان يشد بعضه بعضًا، أنت تتألم لألمه، وتحزن لحزنه، وتفرح وتسر لسروره بموجب الأخوة،

(١)أخرجه الترمذي من حديث أبي الدرداء برقم (٢٥٠٩) وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

الأخوة الإيمانية الَّتي بينك وبين أخيك المسلم ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الحجرات: ١٠].

والنَّصيحة هي من أسباب جمع الكلمة بين الرَّاعي والرَّعيَّة، وبين الرَّعيَّة بعضهم مع بعض، المجتمع كُله إذا سادت النَّصيحة فيه توحَّدت كلمته، وزال الشِّقاق بينهم، والنزاع، وسادت المحبَّة بينهم، هذه النَّصيحة لعامَّة المسلمين، تتعامل مع النَّاس، فليكن تعاملك على الصِّدق والإخلاص، فكما لا ترضى لنفسك الغش فلا ترضاه لإخوانك، لا تغشهم: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾[المطففين:١ - ٤] ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[هود: ٨٥]، لا تبخس حقوق النَّاس؛ بل احترمها وأوصلها إليهم، هذا من النَّصيحة، لو أن هذه النَّصيحة تسود بين المسلمين لما حصل الخلل ولما حصل الفشل، ولا تسلط علينا عدونا، ولما تدخل في شؤوننا.

لو عملنا بهذا الحديث: الَّذي كرر فيه النَّبِيُّ ﷺ النصيحة فقال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[1] قالها ثلاثة مرَّات عليه الصَّلاة والسَّلام، فلماذا الرَّسُول اهتم بها هذا الاهتمام حتى قال الصَّحابة لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**لله، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**».وبها يجتمع الدِّين كُلُه.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضى، وأصلح الله ولاة أمورنا، ووفقهم للحقِّ والصَّواب، وكفانا شر أعداءنا.

الخاتمة

نسأل الله أن يحفظ أمننا واستقرارنا في ديننا، وأن يُصلح ولاة أمورنا، وأن ينصر أمَّة محمَّد ﷺ، وأن يُظهر دينه على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون. وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❁❁❁

(١) سبق تخريجه من رواية تميم الداري بدون تكرار لفظ: (الدين النصيحة)، وبهذا اللفظ المكرر عنه أخرجه أبو داود برقم(٤٩٤٤) وقد روي هذا اللفظ من حديث أبي هريرة أخرجه الإمام أحمد(٢/ ٢٩٧) والترمذي برقم (٢٠٥٠) والنسائي برقم (٤٢١٦).

فهرس الموضوعات

۞۞۞